أهم سؤال في حياتك

« ماذا أفعل بيسوع الذي يدعي المسيح »

(مت ٢٧:٢٢)
ألقاها : وليم بيدروف

لقد كان بيلاطس البنطى متقلبا مذبذبا أذا أردنا أن نسـميه في العرف المتداول فقد قدم جمهور اليهود إليه يسـوع الناصري ليفحصه ويحكم عليه ، ولكنه لم يجد فيه علة . كان يريد أن يطلق يسوع ، و لكن لم يكن له من الشجاعة ما يواجه بها صـباح المتعطشـين للدم . أرسـلت اليه امرأته قائلة : « اياك وذلك البار . لأني تألمت اليوم كثيرا في حلم من أجله ». ولكن لم يكن بيلاطس ليلبي داعى الجراة ، فهو في هذا يقدم لنا صـورة العالم ازاء المسـيح في مكتبى كتاب طريف عنوانه « رسائل من جهنم »، وضمن فصوله صورة نهر يجري في وادي الهلاك ، انحنى على شاطئه رجل يغسل يده بجد وصورة اليأس مطبوعة على وجهه لأنه طوال مدة اغتساله لم يستطع أن يزيل آثار الدم من يذيه . وعندئذ أقبل عليه رجل يعرفه ، فابتدره قائلا : « أتغتسـل يابيلاطس إلى هذا اليوم ولم تبرا يداك من الدم الى الآن ؟»، فصـرخ بيلاطس في عالم الجحيم : واويلتاه ! ألم تطهر يدي بعد طوال هذا الاغتسـال ؟! .« ماذا أفعل بيسـوع الذي يدعى المسيح» ؟

هذا هو أهم سـؤال في حياتك ؟ ولم ؟ لأن كل شـيء في هذه الحياة والحياة الأخرى متوقف على الرد منك عليه . كثيرا ما يخيل للناس أنهم واجدون السـعادة والسـلام وراحة النفس في طرق وسـبل ، ولكنهم في ذاك مخدوعون واهمون فهل و جدها اللورد كلايف ؟ لقد حاول أن يجدها في تصـفيق الناس له وتقديم الاحترام والمهابة له . ولكن أبلغ مثل في كذب الشـهرة لنوال السـعادة والسـلام هو اللورد كلايف مؤسـس الإمبراطورية البريطانية الهندية . كتب إليه والده يقول: « ارجع يا بني إلى الوطن لأن الدولة بأسـرها تتطلع اليك لتوفيك حقك اللائق تردد صـداها من التبجيل لِمَا أصـبت من نجاح باهر ». هذا الرجل نال أعلى الرتب ، وتدفق الذهب الى خزائنه ، واينما سـار كانت الشـوارع تزدحم بـالمتفرجين ليحظوا بطلعتـه ، ومتى لاح بنظره دوت الأرجـاء بـالتصـفيق لـه اجلالا واكبـارا

وفيما يدوى تصفيق الناس له وصوت الهتاف لم يزل يرن في أذنيه صعد إلى سطح بيته وصوب المسدس الى رأسه فخر صريعا.!

وهل وجد الشهرة أيضاً اللورد بيرون ؟ لقد حاول أن يجدها في متع الحياة وملاذها ، وذهب الى أبعد اشواط اللذة ، ولكن اسمع ما يقول عند بلوغه السادسة والعشرين : « أيامى أشبه ما تكون بشجرة ابان الخريف ذوت أوراقها الصفراء ». وقال: « ازهار الحب واثماره قد مضي أوانها ولم يتبق الا دودة تنخر اللب وحشرات تخلف الحسرة والندامة »

مرة قابل الدكتور جوردون شيخا ذاهبا الى بيت الله فقال له: يا صديقى ، أرى أنك في مرح وسعادة كثيرة على شيخ مثلك الله فرد عليه : « ومن مثلي عنده من الأسباب ما يجعله سعيدا ناعم البال؟ » فقال : وما السبب في ذلك ؟ فرد: « لأني من أتباع يسوع ». فقال الدكتور : وما رايك في شيوخ ليسوا من اتباع يسوع.. ..الا يمكن أن يكونوا سعداء ؟ فرد الشيخ : « ولا واحد ». ثم لمع وجهه بنور سماوي وأردف قائلا : أسمع من فضلك ، وخذها كلمة اختبار من واحد عرف الحق ، ثم انشرها في أرجاء الدنيا . انه لا يوجد واحد حمل اثقال سبعين سنة وبقى سعيدا . تأكد أن الشيطان لا يوجد في زمرته شيوخ سعداء. اسمع أيضا ما يقوله الرب الإله: القادر على كل شيء: لماذا تزنون فضة لغير خبز وتعبكم لغير شبع استمعوا لى استماعا وكلوا الطيب ولتتلذذ بالدسم أنفسكم.

لا يوجد فرح مثل فرح الرب اسئل نفسك : ماذا تصنع أذا أقبل عليك الليل وهجم بظلامه حولك ؟ أقصد ليل الأحزان والفراق حينما يتراجع الطبيب الذى يفحصك وينفض يديه أسفا قائلا : لقد بذلت كل ما يجب على والأصدقاء والأقارب يتهامسون حولك : أنه في النهاية . ثم يأتي المشيعون والمعزون . وماذا تعمل في الحياة الأخرى ؟ لقد بنى «كون« صاحب الملايين قبرا لا تستطيع أيدي اللصوص أن تصل اليه لتحفظ فيه جثته . اسواره سمكها ثمانية أقدام بالخرسانة المسلحة بقضبان من الحديد السميك من فوق ومن تحت ومن على الجوانب . ذلك لئلا يأتي احد اللصوص ويسرق جثته . ففي اهتمامه وخوفه من ضياع جسده أضاع روحه. وهذا نفس ما اهتم به «توت عنخ آمون» وما اهتم به «خوفو» بانى الهرم الأكبر . وما اهتم به الملوك الوثنيون. أجل ، ماذا يضير ما يلاقي جسدك اذا انصرفت تنشغل في البحث عنه وأنت غافل عما سيلاقى روحك ؟ لقد أصاب آرثر برسبان في قوله : « السؤال عندما نفكر في الموت هو إلى أين أنا ذاهب وليس ماذا سيلاقي جسدى ؟».

أقول لك أن ما يفعل الله بك في الحياة الأخرى متوقف على مأ تفعله أنت به في الحياة الدنيا :« ماذا أفعل بيسوع ؟». اسمع إلى ما يقوله السيد :« من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا ايضا به قدام أبي الذي في السموات . ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضا قدام ابي الذي في السموات » كنت جالسا أتغدى مع الدكتور البرتون من أهالي روتشستر بنيويورك ، فقص على حلما رآه « دانيال كرى ». و «دانيال كرى» هذا كان رجلا عظيما من رجال الله المحبوبين في الولايات الغربية

الوسطى • راي في حلمه أن روحه قد فارقت جسمه ووقف على أبواب السماء يقرع ، فلما سأل عن اسمه قيل له أنه غير موجود ، وعليه أن يمثل أولا قدام عرش الدينونة ليجاوب عن نفسه . فراى نفسه محمولا الى جو كله نور، ولمعان وجهه يفوق ملايين المرات اى نور رآه على الأرض حتى كاد يغشي بصرة، لم ير شيئا هناك الا نورا، ومن وسطه أتي اليه صوت يقول: يا دانيال كرى ، هل كنت دائما صالحا ؟ لكن وأسفاه أنه لم يكن كذلك. فصمت. ثم أتي اليه الصوت مرة أخرى: هل كنت دائما طاهرا ؟ وعلى هذا الصوت لم يجد جوابا أيضا. فسئل ثالثة هل كنت دائما مستقيما عادلا وأمينا في معاملتك لبنى جنسك ؟ لكن الأشياء التي نسيها من زمن طويل برزت لدى ذاكرته ولذا لم يستطع أن يرد بالإيجاب على سؤال واحد هذه. وفيما هو حائر في أمره محكوما عليه من شهادة ضميره مترقبا النهاية اذا به يسمع صوتا أعذب من صوت أحن أم ، فالتفت فاذا به يرى شخصا بجواره جمال وجهه البارع يفوق جمال أجمل أم ، وهذا الصوت العذب ينادى قائلا : « يا أبي ، كل خطايا هذا الرجل - نقصاته وفشله - ضعها على أنا. لأن هذا الرجل دانيال كرى وقف لي على الأرض وها أنا أقف له أمامك في السماء ». أليس عظيما أن يكون لك مخلص كهذا ؟ مبارك الله لأنه ليس على أن اقف هناك لأكسب أو اخسر قضية الخلاص الأبدي على أساس استحقاقاتي أنا - أنا المغمور بالذنوب والأخطاء والعيوب - ولكن ابن الله المجيد يقف بجانبي وبره هو الذي يغطي عيوبي . أردد ثانيا : اليس عظيما أن يكون لك مخلص كهذا ؟ ماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح ؟

هذا السؤال يجب على كل واحد أن يرد عليه .. يجب أن تفعل به شيئا ما.لقد حاول الملاحدة والكفار أن يفعلوا به شيئا . فالملحد استروس قال عن نفسه انه من صنع الخيال، لا يختلف عن الشخصيات الخيالية التي ابتدعتها عقول الإغريق والرومان في أساطير الأولين. والملحد روسو حاول أن يقنع الناس أنه أطيب من وجد على ظهر البسيطة وأن كلام ابن الله لا نفع فيه . وهكذا أنجرسول ، وغيره ، وغيره فعليك أن تفعل أمرا ما بيسوع. انظر الى بيلاطس ، أنه يخرج من دار الولاية لكي لا يجزم أمرا في قضية المسيح ، وثلاث مرات يقول اني لا أجد فيه علة . ومرتين يقول خذوه أنتم وأحكموا عليه حسب شريعتكم . ومره يقول اني أجلده وأطلقه . وحاول أن يستعمل العفو السنوي لأجله ، ولكن لم يستطع ، واذ فشل في كل محاولة وقف وجها لوجه أمام الأمر الواقع: أباراباس أم المسيح ؟ القاتل أم المخلص ؟ أزعيم عصابة السفاحين أم رئيس السلام ؟ وأخيرا صدر حكم الجبن والتردد : خذوه أنتم واصلبوه. ايها الرجال وأيتها السيدات أعيروني سمعكم . ليس لزاما أن تكذبوا لكي تكونوا أثمة خطاة . وليس لزاما أن تسرقوا أو تسكروا أو تقامروا أو تزنوا. كلا . لأن كل خطية تبتديء من ذات الأصل ، وهو رفض المسيح . فذلك الفريسي الذميم الذي وقف يطوي ذراعيه على قلبره الذاتي النجس وهو يصيح اصلبوه لا يقل ذنبا عن ذلك الوغد الأثيم الذى بصق في وجهه ، كما أنه لا يفرق شيئا عن العساكر الذين دقوا المسامير في يديه ورجليه وضفروا اكليل الشوك على جبينه الطاهير.

كل كذاب هو رافض للمسيح وكل قاتل هو رافض للمسيح. وكل لص هو رافض للمسيح . وكل عائش في النجاسة هو رافض للمسيح هذا هو أصل المسألة . ومن هناك يبتدىء . وكل نفس معذبة في عالم الهالكين الآن ليست هناك لأنها اجترحت بعض أو كل الخطايا التي ذكرت ، بل لأنها رفضت المسيح فماذا تفعل بيسوع؟ تقول هذا أمر سأبت فيه فيما بعد. لكن حذار من التسويف . وقرر الأمر بنعم أو لا وأنت تقرا هذه السطور ، واذا لم تجزم أمرا لقبولك المسيح الآن فكل خطوة تخطوها بعد أن تفرغ من هذه العظة ، تردد صدى صوتك : لا أريد ، لا أريد المسيح ! «من ليس معي فهو على« ، هذا ما قاله السيد . معظم الناس يداعبهم الأمل أنهم في يوم من الأيام يصيرون مسيحيين حتى ذلك النبي الوثنى قال : « لتمت نفسي موت الأبرار ولتكن آخرتى آخرتهم.

قرات عن صياد كان يستعمل صفارة تقلد صوت الغزلان الصغيرة . ففي ذات يوم نفخ فيها فاذا بغزالة أطلت من طرف الغابة الترى أي ظبي صغير هذا الذي يصرخ طالبا أمه فرات الصياد مصوبا بندقيته اليها . ومع العلم أنه عدوها اللدود حتى كانت تنتفض من الخوف إلا أنها وقفت لا تتحرك . فلما رأى الصياد ذلك المنظر الذي تجلت فيه عاطفة الأمومة وحبها في ذلك الحيوان تحرك قلبه بالحنان وعفا عن الغزالة فلم يطلق عليها الرصاصة . ثم لوح بيده إليها لكي تجفل وتدخل الغابة بسلام كثيرون يخيل اليهم أنه لكون الله حنانا ورؤوفا وطويل الروح يستمرئون مرعي غيهم ويتمادون في طريق رفضهم المسيح عائشين عيشة الاستباحة والاهمال. هذا هو أحقر فكر يخطر ببالك . هل تظن أنه لأن الله أطال امهاله عليك أن روحه هكذا يدين فيك إلى الأبد ؟ لا أنكر أن صبره كعظمة رحمته ، ولكن من يدريك فقد تكون هذه آخر فرصة منحك اياها لتخلص وأنت تقرا هذه السطور فافعل الآن ما تعرف انك تقوله عندما تقف في حضرة الله الديان العادل في اليوم المحتوم.

واذا ما جاء الوقت الذي فيه تجبر على ترك هذا العالم إلى العالم الآخر ، هل تذهب كما ذهب الملحد أنجرسول بدون ترنيمة ترتل في جنازته ، أو بالأحرى تردد صوت رئيس الجمهورية الشهيد ماكينلى »يا رب أقرب فأقرب « ؟ هل ترغب أن تذهب كما ذهب الملحد هوبس قائلا : ها أنا قفزت قفزة مخيفة في الظلمة المدلهمة ؟». أو تذهب كرجل الله الغيور مودى أذ قال : الله ينادى . والسماء تفتح أبوابها. وها أنا أرى شطوط الأرض تتراجع بعيدا« أرجوك أن تسأل نفسك هذا السؤال ، وتجيب عليه في الحال: « ماذا أفعل بيسوع الذي يدعي المسيح؟»

عظة قوية منقولة من كتاب أشهر المواعظ للأخ واصف عبد الملك.

أرجوا أن يستخدم الرب هذه العظة لمجد اسمه.

صفوت زكي سمعان